من العلماء المعاصرين

لقد علَّم الإسلام المرأة المسلمة أن تكون عبر العصور والأزمان قوة فعالة تنفع نفسها ودينها، ولقد قدمت إليك ـ أختي المسلمة ـ نماذج من العلماء السابقين الذين صنعتهم نساء مؤمنات، وفي هذا الجزء من الرسالة أسوق لك نماذج لعلماء معاصرين قريبين من عصرنا ظهرت وتجلت في شخصياتهم دور المرأة المسلمة. ومن العجب أن من قمن على تربيتهم لم يكن أمهاتهم بل نساء مسلمات قيّدهن الله لرعاية هؤلاء العلماء. ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ أحمد تيمور باشا

أحد الأعلام الذين وهبوا حياتهم للعلم بحثاً ودراسة واستقصاءً، والمُطَّلع على خزانة المكتبة التيمورية يجد نفسه أمام شخصية علمية فذة كرست نفسها للبحث والدراسة وخدمة الإسلام ولغة الإسلام. وقد ولد أحمد تيمور في أسرة ثرية في الموصل سنة ١٢٨٨هـ وتلقى مبادىء العلوم في مدرسة فرنسية تُدعى مرسيل بالقاهرة، ولكنه يقول عن تلك المدرسة: «إني كنت قد تخرجت في المدارس بعد تلقي ما يُتَلقى فيها من العلوم المعروفة وأنا في سن العشرين، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية في هذه المدارس، إلا أني كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه والمطالعة في السيرة النبوية ومناقب الخلفاء، فكان ينشرح صدري لأشياء وينقبض لأشياء تعرض فيها شبهات. فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ (حسن الطويل) الذي تعلمت منه الكثير»[١].

(١) أحمد تيمور باشا ترجمة لمحمد بن إبراهيم الشيباني ص١٠، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

ومما قيل في أحمد تيمور:

قال محب الدين الخطيب: «كان رحمه الله سلفي العقيدة معتدلاً في كل أموره بعيداً عن الغلو محترماً لرجال السلف»[١].

وقد قضى أحمد تيمور حياته كلها للعلم وبذل ماله في سبيل العلم، فليس في حاجة إلى أن نذكر مكانته في الأدب أو العلم أو المعرفة باللغة العربية، فقد ألف في شتى المجالات ومن مؤلفاته ما يتعلق باللغة مثل (أسرار العربية) ومنها ما يتعلق بالأدب مثل (علي بن أبي طالب شعره وحكمه) ومنها ما يتعلق بالدين مثل (الآثار النبوية) وغيرها من المؤلفات التي ضمتها المكتبة التيمورية، ويكفي تلك المكتبة فخراً أنها كانت ثالثة مكتبتين هما دار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية بل قد تمتاز بمجموعة من المخطوطات القيمة ليست في أختيها. يقول الأستاذ أحمد ربيع المصري السكرتير العام لنشر المؤلفات التيمورية: «استقبلت مؤلفات العلّامة المحقق أحمد تيمور باشا في جميع الدوائر العلمية والأدبية في مصر وجميع الأقطار العربية بكل مظاهر الحفاوة والتقدير والرضا لأنها سدت ثغرات شتى في المكتبة العربية كانت في أشد الحاجة إلى استكمالها»[٢].

وقد كان رحمه الله شديد الاعتزاز بالإسلام وأخلاقه. يقول الأستاذ أحمد ربيع المصري: «... ومن ذلك أنه كان لا

(١) المصدر السابق ص١٣.

(٢) أحمد تيمور باشا لمحمد بن إبراهيم الشيباني ص٣٢.

يؤرخ تحاويله المالية ـ الشيكات ـ إلاّ بالتاريخ الهجري وحده دون سواه فرضي منه ذلك بنك «الكريدي ليونيه» الذي كان يتعامل معه ولم يعترض عليه»[١].

ويقول عن نفسه: «أنا عضو في جامعة المسلمين فلا أنتقل منها إلى ما يخالفها فضلاً عن ذلك فإني ولدت عربي اللسان وتأدبت بآداب القرآن».

وقد ظهر اهتمامه بدينه ولغة الإسلام في تشجيعه لكل دعوة تدافع عن الإسلام ولغة الإسلام، وصده لكل حركة تنال من الدين أو لغته، فقد كان من المعاديين لحركة الكماليين [نسبة إلى كمال أتاتورك أحد معاول هدم الخلافة الإسلامية] كما أنه شارك في إنشاء جمعية الشبان المسلمين مع محب الدين الخطيب والشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر تلك الجمعية التي تعمل على خدمة الإسلام ونشر تعاليمه والدفاع عنها. وقد مات ذلك العلم بعد أن خلّف وراءه مكتبة عظيمة وبعد أن قام بجهود كثيرة لخدمة الإسلام ولغته، ومما قيل في رثائه: [الخفيف]

مَرَّ تيمور كريماً ومضى
لاحقاً بالسالفين الصالحين
عاش لم تخدعه دنياه وقد
فاز بالقسطين من دنيا ودين

(١) المصدر السابق ص١٢.

هذا العلم الذي قدمته من خلال تلك السطور لعبت المرأة المسلمة أكبر الأثر في تكوينه، فقد توفى أبوه وعمره ثلاثة أشهر فربته أخته (عائشة التيمورية) وهذه المرأة قد سبقت أحمد تيمور إلى مجد أدبي خالد ولها أثرها في الشعر العربي والتركي والفارسي، ولقد غرست فيه تلك الأخت حب العلم وهداه الله لحب الإسلام ولغته فعاش حياته لخدمتهما والدفاع عنهما حتى قال من رثاه:

رُزْء العروبة في أبرّ حُماتها
تيمور غير بقية الأرزاء
رجلٌ به خُتم الرجال فهات لي
خلقاً له يغنى أقل غناء(*)

(*) الأبيات من بحر الكامل.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعدى

هو العالم الجليل والمحدث الداعية شيخ الشيخ بن عثيمين رحمه الله، علامة القصيم المحقق المدقق عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى، يُكنى بأبي عبد الله وقد ولد في منطقة عُنيزة سنة ١٣٠٧هـ بالمملكة العربية السعودية.

وقد نشأ الشيخ ابن سعدى نشأة صالحة وتربى تربية حسنة وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وقد أنار له كتاب الله طريقه فطلب العلم حتى صار علماً من الأعلام.

يقول عنه الشيخ ابن باز رحمه الله: «كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وكان يُرجح ما قام عليه الدليل وكان قليل الكلام إلا فيما يرتب عليه فائدة. جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم، وكان متواضعاً حَسُن الخلق ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة»[١].

(١) صفحات من حياة علّامة القصيم ص٩٧ د/ عبد الله الطيار.

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «إن من قرأ مصنفاته وتتبع مؤلفاته وخالط وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً ووقف منه على حسن السيرة وسماحة الخلق واستقامة الحال وإنصاف إخوانه وطُلّابه من نفسه، وطلب السلامة فيما يجر إلى شر أو يُفضي إلى نزاع أو شقاق»[١].

وقال محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تلميذ ابن سعدى: «إن الرجل قَلّ أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه حيث كان يُعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه. وكان صبوراً على ما لم يلم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هَفا»[٢].

وقال محمد حامد الفقي: «لقد عرفت الشيخ منذ أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق الذي يبحث عن الدليل الصادق وينقّب عن البرهان الوثيق فيمشي وراءه لا يلوي على شيء».

وقال: «... عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرفت فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ

(١) مقدمة كتاب حكم شارب الدخان لابن سعدى.
(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدى وجهوده في توضيح العقيدة ص٥٩.

بكل أسباب الحياة العزيزة القوية الكريمة النقية»[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل: [الطويل]

دع عنك الهوى واذكر أخاً تقةً
يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالفضل منتصف
مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحرٌ من العلم نال العلمُ في صغرٍ
مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه
والفقه في الدين غصنٌ كله ثمر

وهي أبيات من قصيدة طويلة في مدح الشيخ نظمها في حياته[٢].

وقال الشيخ القاضي في روضة الناظرين: «ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعل وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما عَلِمَ بوفاة الشيخ قال: مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة فانصدع ومات في ١٢ رجب بعد وفاة السعدي بتسعة عشر يوماً وكان من خواصه»[٣].

(١) سيرة الشيخ عبد الرحمن السعدي لمحمد حامد الفقي ص٣.
(٢) علماء نجد لبسام (٢/ ٤٢٨).
(٣) روضة الناظرين (١/ ٢٢٧).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: «لقد كان للشيخ عبد الرحمن السعدي أثر كبير ودور بارز في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم، حيث جلس للتدريس وإفادة الطلاب أكثر من نصف قرن من الزمان»[١].

وقد بذل هذا الشيخ حياته وأوقاته لخدمة العلم وعُرف منذ حداثة سنة برغبته القوية وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فكان لا يصرفه عنه صارف ولا يشغله عالم، وكان متنوع الثقافة متنوع العطاء في مجال الحديث والفقه والتفسير والعقيدة وغيرها. وظهرت له العديد من المؤلفات أشهرها (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وهو تفسير كامل للقرآن و(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) و(توضيح الكافية الشافية) وهو كتاب نظم فيه نونية ابن القيم الذي كان شديد الحب له هو وشيخه ابن تيمية وكتابه (القول السديد في مقاصد التوحيد) وغيرها من المؤلفات التي خلَّدت اسمه في سجل العلماء العاملين الذين قيَّضهم الله لإرشاد الناس إلى الدين وخدمة الإسلام والمسلمين ومن أقواله رحمه الله:

«العلم خيرٌ من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، يصحبك في دورك الثلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد».

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدى وجهوده في توضيح العقيدة ص٦٠، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.

وقال: «الجهل داء قاتل والعلم حياة ودواء نافع حاجة الناس إلى العلم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، مذاكرة العلم تسبيح والبحث عنه جهاد وتعلمه وتعليمه ودراسته توجب رضى ربّ العباد»[١].

هذا العالم الذي أوردت سيرته وأقواله في خلال سطور رسالتي والذي كان من العلماء الذين قيدهم الله لنشر دينه ومن العلماء الذين صنعتهم نساء، فقد نشأ يتيم الأبوين حيث توفيت أُمّه وله أربع سنوات وتوفي والده وله سبع سنوات فتوَلَّتْ تربيته زوجة والده فأحسنت القيام عليه وعطفت عليه وكفلته وأحبته أكثر من حبها لأولادها، فنشأ نشأة صالحة كريمة في ظل هذه المرأة المسلمة ولما شب صار في بيت أخيه حَمدَ. وهكذا قيَّد الله لهذا العالم زوجة والده لترعاه وتعينه على طلبه للعلم وتشجعه وتهيأ له البيئة الصالحة والنشأة الكريمة، وهكذا ظلت وستظل المرأة المسلمة تقف وراء العلماء لتصنع برعايتها وتحت عينيها رجال وعلماء صنعتهم نساء.

(١) الرياض الناضرة ص٦٩ ـ ٧٣.

٣ ـ منصور بن علي بن زين العابدين(*)

هو العلامة الفقيه المحدث الشيخ منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير الشافعي، ولد بمنف ونشأ بها يتيماً في حجر والدته وكان باراً بها، فكانت تدعو له فحفظ القرآن وعدة متون ثم ارتحل إلى القاهرة وجاور بالأزهر وتفقه بالشهابين البشبيشي والسندوبي، والشمس الشرنبابلي والزين منصور الطوخي، ولازم العلامة الشبراملسي في العلوم وأخذ عنه الحديث وجد واجتهد وتفنن وبرع في العلوم العقلية والنقلية. وكان إليه المنتهى في الحذق والذكاء وقوة الاستحضار لدقائق العلوم سريع الإدراك لعويصات المسائل على وجه الحق، نظم الموجهات وشرحها وانتفع به الفضلاء وتخرج عليه النبلاء وافتخرت بالأخذ عنه الأبناء على الآباء. توفي في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف وقد جاوز التسعين.

وهكذا ترعى الأم المسلمة ولدها ليصير عالماً يتلقى العلم عنه الكثيرون وينشر بعلمه سنة المصطفى ﷺ وصدق من قال:

(*) عجائب الآثار (١/ ١٢٩).

[البسيط]

علمُ الحديثِ أجلُّ السُّؤْلِ والوطرِ
فاقطعْ به العيشَ تعرفُ لذة العمرِ
وانقل رحالكَ عن مغناك مرتحلاً
لكي تفوزَ بنقلِ العلمِ والأثرِ
ولا تقل عاقني شغلٌ فليس يُرى
في الترك للعلم عن عُذْرٍ لمعتذرِ
وأيُّ شُغل كمثلِ العلمِ تطلبهُ
ونَقلِ ما قد رووا عن سيد البشرِ

٤ ـ محمد الأمين الشنقيطي

هو الشيخ الإمام القدوة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. صاحب كتاب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وهو من خير رجال القرن الرابع عشر في العلم والتقى والورع والزهد في الدنيا وبذل الجهد في نشر العلم والدأب الشديد على تحصيله. قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقاً وأحد كبار علمائها قال: «مُلىء علماً من رأسه إلى أخمص قدميه».

وقال: «آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب».

وقال: «ما رأيت رجلاً أعقل منه»[1].

وقال عنه الشيخ ابن باز رحمه الله حين سأله الشيخ السديس عن الشيخ الشنقيطي قال: «أعرف عن الشيخ المذكور العلم الواسع بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب الله ﷻ والزهد والورع والتثبت في الأمر، ومن سمع حديثه حين يتكلم

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد الرحمن السديس ص٢٢٣.

في التفسير يعجب كثيراً من سعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يمل سماع حديثه رحمة واسعة»[١]. وقد صحبه الشيخ ابن باز دهراً طويلاً ودرس على يديه الكثير من العلوم فكان من أكبر تلاميذه.

وقال عنه العلّامة محمد ناصر الدين الألباني: «من حيث جمعه لكثير من العلوم ما رأيت مثله، كان حينما يلقي المحاضرة يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص وبخاصة الآيات القرآنية، وكان متواضعاً وليس ككثير من المشايخ يحبون الأبهة والتعاظم فكان أصغر طالب يستطيع أن يتكلم معه وهذا من سمة أهل العلم والأدب»[٢].

وقال عنه الشيخ حماد الأنصاري ـ وهو من كبار علماء الحديث في الجامعة الإسلامية ـ قال: «بارع في علوم كثيرة لا سيما في الوسائل: اللغة والأدب والنحو والتصريف والبلاغة والمنطق وأصول الفقه والفقه المالكي». وقد كان الشيخ حماد من تلاميذ الشيخ الذين صاحبوه واستفادوا منه السنوات العديدة حيث صاحبة حوالي سبعة عشر عاماً تقريباً، وقال عنه الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: «لو كان في هذا الزمن أحد يستحق أن يُسمى شيخ الإسلام لكان هو»[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٥.

(٣) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للسديس ص٢٢٨.

وقال عنه الشيخ حماد الأنصاري أيضاً: «له حافظة نادرة قوية ويعتبر في وقته نادراً ولم يكن له منافس في تفسير القرآن بأنواعه الأربعة بالقرآن والسنة وأقوال السلف واللغة العربية وعنده في اللغة استحضار عديم النظير»[١].

وهكذا كان الشيخ من العلماء الربانيين الذين نشروا العلم ودرّسوه في الحرم المدني والجامعة الإسلامية، ونفع الله به وبعلمه ومؤلفاته الكثير من طُلَّاب العلم. هذا العالم الذي درّس لعلماء من صنعته؟ إنها أمه فقد ولد في شنقيط ـ وهي دولة موريتانيا حالياً ـ ونشأ يتيماً حيث توفي والده وهو صغير كما قال عن نفسه: «توفي والدي وأنا صغير اقرأ في جزء عَمَّ وترك لي ثروة من الحيوان والمال وكانت سُكناي في بيت أخوالي[٢].

وقال رحمه الله: «ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوَّقت في على الأقران، عُنِيَتْ بي والدتي وأخوالي أشد العناية وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين أحدهما عليه مركبي وكتبي والآخر عليه نفقتي وزادي وصحبني خادم ومعه عدة بقرات وقد هيأت مركبي كأحسن ما يكون من مركب، وملابسي كأحسن ما تكون فرحاً بي وترغيباً لي في طلب العلم... وهكذا سلكت سبيل الطلب

(١) المصدر السابق ص٧.
(٢) نقلاً عن ترجمة الشيخ في (أضواء البيان) ج١٠ للشيخ عطية سالم.

والتحصيل»[١]. وهكذا دفعت هذه المرأة المسلمة ولدها إلى طلب العلم وصنعت بتوجيهها ومالها عالماً نشر علمه في كل ربوع الأرض في عصره وقال عنه علماء عصره أنه شيخ للإسلام[*].

وهكذا أختي المسلمة كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور صانعة للعلماء، ولم تكن والدته فقط رحمها الله هي المرأة الوحيدة التي لعبت دوراً في صناعته كعالم، بل لقد تعلم على يد زوجة خاله قال: «أخذت عنها مبادىء النحو كـ«الآجرومية» وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي وهو يزيد على خمس مئة بيت وشروحه لابن أخت المؤلف المعروف بـ(حماد) ونظم عمود النسب للمؤلف وهو يُعد بالآلاف»[٢].

تأملي معي أختي المسلمة ذلك العلم الغزير الذي تمتعت به تلك المرأة المسلمة والذي ساهمت به في تكوير عالماً قال عنه من رثاه: [البسيط]

نَعَى الأمين نُعاةٌ قد نَعَوْا عَلَما
بحراً خِضَمّاً بموج العِلم مُلْتَطِماً

(١) نقلاً عن ترجمة الشيخ في: أضواء البيان للشيخ عطية سالم (ج١٠).
(*) كما سبق ونقلت عن الشيخ بكر أبو زيد ﷾.
(٢) ترجمة محمد الأمين الشنقيطي للسديس ص١٣.

أبكته أجيالُ علم حِينَ عُدَّ له
ريعُ الحَجُونِ مصيراً بعدما خُتِما
ما كان يرغب في السُّكْنَى بِذِي بَلَدٍ
غيرِ المدينةِ طابت مَسْكَن الكُرَما

ثم قال:

أدهى المصائِبِ ما بالدِّين قد نزلت
والمسلمون عُموماً لاقوا الألَما
عِلْماً وحِلْماً فَقَدْنا بَعْدَهُ وبِهِ
تبكي السماء وتبكي الأرض فَقْدَهُما
دعا إلى الله بالقرآن إخَوتَهُ
وحَثّهم عُمُراً بِجَعْلِهِ حَكَما[1]

وهكذا كانت المرأة المسلمة عبر كل العصور صانعة لمثل هذا العالم وهؤلاء العلماء الذين سَجَّل التاريخ أسماءهم وعلمهم بمداد من نور، وهكذا قدَّر الله لهؤلاء النساء أن يصنعن بأيديهن وتوجيههن علماء نشروا العلم في ربوع الأرض عبر كل العصور.

فرحم الله هؤلاء العلماء، ورحم الله أولئك النساء ورحم كل من يخدم دين الإسلام في كل وقت وحين رحمة واسعة.

وأنت أيتها المسلمة ألا تريدين أن تلحقي بركب النساء

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة نقلاً عن ترجمة الشيخ السديس للشيخ الشنقيطي ص١٨١.

اللاتي صنعن علماء ذلك الركب المبارك الذي نقلت لكِ بعض ثمرات من لحقن به، إن أردت ذلك فتعالي معي لنعرف عبر الصفحات التالية كيف تصنعين عالماً؟؟؟